جَوَانِبٌ مِنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ محمّد أمان الجامي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

أمّا بعدُ:

فحياكم الله يا أيها الإخوة الكرام، وأسأل الله جَلَّ وَعلا أن يجعل هذا اللقاء لقاءً نافعًا ومفيدًا للسامع وللمتكلم.

كان في ذهني أن يكون موضوع هذه الجلسة حول تفسير بعض الآيات نخرج منها بفوائد، لكن رغِب بعض الأحبة أن يكون الموضوع عن شيخنا الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله رحمة واسعة، واستجابةً لهذه الرغبة رأيتُ أنّ من المناسب أن يكون اللقاء عن هذا الموضوع.

ودوّنتُ على عجالة بعض الأشياء التي سنحت بالخاطر في هذا الموضوع، وإلا فإن مثل هذا الموضوع لا شكّ أنه يحتاج إلى إعداد ومادة علمية تليق بهذا العَلَم الإمام الشيخ محمد أمان رحمه الله رحمة واسعة.

والكلام عن الأشياخ ومآثرهم والوقوف مع جوانب من حياتهم أمر نافع ومفيد لطلاب العلم.

✍ فهو **أولًا:** يدعوا إلى التأسي بهم والتأثر بسماتهم وهديهم وأخلاقهم، والله جَلَّ وَعلا يقول: **﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾** [لقمان: 15]، ويقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** [التوبة: 119]. فبمعرفة فضائل العلماء ومآثرهم ودقائق مفيدة من حياتهم يستفيد طالب العلم ويتأثر في جانب العلم، وفي جانب العمل، وفي جانب الخلاق.

✍ **وثانيا:** في مثل هذه الكلمات وفاء بحق أشياخنا علينا وحسن العهد من الإيمان كما جاء في الحديث، وما أحسن ما قال أبو محمد التميمي الإمام الحنبلي المشهور حينما قال: "يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا"! فنحن لما نتكلم

عن مشايخنا عليهم رحمة الله ندعو الله لهم ونستغفر لهم، ونبث محاسنهم، وهذا بعض حقهم علينا.

✍ **أمرٌ ثالثٌ**: يختصُّ بالكلام عن مثل الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الشيخ محمد يختلف عن غيره من العلماء من جهة أنه ينبغي أن يتكلم فيه وأن يبين حقيقة ما كان عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه من أكثر المشايخ المعاصرين الذين ولغ الوالغون في عِرضهم ونالُوا منهم وشوّهوا سمعتهم، بل نسبوا إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرقة أصبحت مع الأسف الشديد مشهورة على ألسن كثير من الجهال الذين لا يعرفون حقيقة الحال، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بريء، وكل من عرفه يعلم أنه لم يكن له منهج مختزل عن منهج أهل السنة والجماعة، وإنما هذا ظلم وافتراء. ولعلّ الله عَزَّ وَجَلَّ أراد له ما أراد للصالحين قبله، كما قيل لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إنّه قد نال قوم من أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقالت: "قد انقطعت أعمالهم، فلعل الله أراد أن لا ينقطع عنهم أجرهم".

أقولُ: لعل الله عَزَّ وَجَلَّ اختار لشيخنا أن يستمر له هذا الأجر، وإلا فوالله هذا من البغي على مسلم، بل على عالم من أهل العلم. والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عن ربه جَلَّ وَعلا: **«مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»**. ولعل الشيخ أن يكون خصيمًا يوم القيامة لكل من نسب إليه جماعة وحزبًا منسوبًا إليه، عليه رحمة الله.

الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا شك أنه إنسان كبقية الناس، لكن لا شك أيضًا أنه يختلف عن كثير من الناس.

ما كان بعض الناس إلا مثلما ... بعض الحصى الياقوتة الحمراء
فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزالِ
والناس ألف منهمُ كواحدٍ ... وواحدٌ كالألف إن أمرٌ عنَا

فالناس متساوون في الخِلقة، لكنّهم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا في الأعمال، والهمم، والآثار.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عرفه عرف أنه قد حفر اسمه في سجلٍ عظيم، سجل العلماء الذين نحسبهم من العلماء الصالحين الذين جمعوا بين العلم والعمل.

الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم أكن أقرب الطلاب إليه ولا أوفاهم به رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل كم كنت مقصرًا مع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وربما ما عرف الإنسان قدره إلا لما فقده -رحمة الله عليه- ولو أن الزمان يعود لكان للإنسان مع هذا الشيخ الجليل شأن آخر، لكنني أحمد الله ﷻ أنني نهلت من معينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدة لا بأس بها وأخذت عنه منذ بواكير الشباب وأفدت منه ولله الحمد؛ أفدت من علمه، وأفدت من أخلاقه، وأفدتُ من سمته، وأفدت من توجيهه.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختلف عن غيره في أنه شيخٌ وأبٌ معًا، ما كان شيخًا مجردًا يُلقي الكلمات ويُلقي الدروس، إنما كان أبًا حاميًا -رحمه الله رحمة واسعة- سنح بالخاطر أن أتحدث عن جوانب واستعرضتها سريعًا في ذهني، ورأيت أنّ من المفيد أن أتذاكرها مع إخواني:

۞ أولًا: علمه وتعليمه:

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مميزًا في الجانبين، في العلم وفي التعليم:

أما في العلم: فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان له قدم راسخة في علم الاعتقاد ومشاركة قوية في غيره، لا سيما في علوم اللغة وفي الفقه أيضًا، وله دروسه المسموعة والمشهورة.

أما جانب الاعتقاد فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان فارس ميدانه، بل كل من أخذ عنه أو استمع لدروسه يجد أن للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رونقًا آخر في الحقيقة، يعني: تجد لذة للعقيدة إذا أخذتها على يديه، تجد متعة في الحقيقة إذا درست هذا الفن بالذات عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ودرَّس الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسجد النبوي سنين طويلة بلغت العشرات، وهو من أقدم المدرسين في المسجد النبوي، وكان يدرِّس أيضًا في غيره، كان له بعض الدروس الخاصة في بيته، وله بعض الدروس أيضًا في مسجده المجاور لبيته.

يتميز أسلوب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- أولًا: بأنه إنسان بذل نفسه للتعليم، ما رأيت أنا وخبرتي القليلة وسنِّي ليس بالكبير ما عاصرت كل العلماء الذين درَّسوا في المسجد النبوي، ولكن ما رأيت أحدًا من مشايخ الحرم يدرِّس في اليوم أكثر من مرة إلا هو، يعني: ليس الشيخ يدرِّس كل يوم، بل يدرِّس

في اليوم أكثر من مرة، تجد له درسًا في الفجر ودرسًا في العصر، أو درسًا في العصر ودرسًا بعد العشاء. وهذا يدل على أن الشيخ قد نذر نفسه للتعليم رَحِمَهُ اللَّهُ، لا تجده إلا يعني: مهما شئت أن تراه في المسجد النبوي على الكرسي يدرِّس رأيته، وهذا في الحقيقة من الأشياء التي تُذكر للشيخ.

- **أيضًا** الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يبسط المعلومة ويسهلها، ولا يتكّلف في إيصال في المعلومة ولا يتقعر في الحديث، إنما يعطيك معلومة سهلة ملخصة من كلام كثير، يعني: إذا رجعت بعده إلى الكتب ونظرت وفتشت وجدت أن الشيخ أعطاك الخلاصة بأسلوب واضح.
- **أيضًا** الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يدرِّس بحسب الحاضرين وبحسب الكتاب المقرر، يعني: لا يدرِّس الأصول الثلاثة للمبتدئين كما يدرِّس التدمرية أو يدرِّس شرح الطحاوية، بل يعطي كل صنف من الطلاب ما يناسبهم.
- **أيضًا** كان الشيخ يكرِّر المعلومة كثيرًا حتى ترسخ في الأذهان، وهذه أيضًا من الميزات المهمة التي تدل على أنّ للشيخ دربة في التعليم.
- **أيضًا** الشيخ كان ذا أسلوب أخَّاذ، يعني: إذا جلست في درسه وبدأ يتحدث الشيخ تذهب معه وتتعلّق بهذا الدرس، وهذا من الأمور التي يتميز بها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، أسلوبه وطريقته، طريقة محببة في الحقيقة يجد فيها طالب العلم المتعة في الأخذ عنه.

۞ أمر ثانٍ كان عليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو زهده وتواضعه:

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وكل من عرفه يعلم هذا منه، كان زاهدًا بعيدًا عن ترف الدنيا ومباهجها أو الخُلطة بالكبراء والمترفين، بل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حياته أو مسالكه معلومة، من المنزل وكان منزله الذي قضى فيه جُلَّ حياته بجوار المسجد النبوي إلى الحرم إلى الجامعة ثم يعود، حياته كلها تدور على هذا الأمر تقريبًا.

كان يظهر أثر تواضعه والبعد عن الترف في ملبسه، كان غالبًا يلبس بشت الذي يسمون لونه (البيج) وبدون قصد، بيته بيت متواضع جدًا، مجلسه مجلس يعني: ضيق

الذي يستقبل به الناس، سيارته سيارة عادية، أثاث منزله أثاث عادي، كان الشيخ بعيدًا عن هذا الذي الناس فيه مشغولون.

أيضًا كان متواضعا للناس، يُسلِّم على الصغير ويُسلِّم على الكبير ويحتفي بمن يقابله، مع أنه كان ذا هيبة، كل من رآه هابه، حتى طلابه كانوا يهابونه، لكن من خالطه بعض المخالطة فإنه يجد نفسه حانية هادئة تطمن معها النفس، وكان له ابتسامة جميلة لا تفارق محياه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا كله أثّر في حب الناس له.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما أعلم تزوج ثلاث مرات، وبلغني أنه كان يهدى إليه العروس، كان يُعرض عليه لحب الناس له، فتزوج لما كان في ابتداء حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرة بمنطقة جازان، وعلّم هناك، والناس أحبوه، وزوجوه من تلك المنطقة.

ذكّرني بما حصل لمعمر بن الراشد البصري الذي كان من أوعية العلم هو بصري، ولكنه زار صنعاء فأحبه الناس، فما رغبوا أن يفارقهم، فقال قائل منهم: قيدوه، فزوجوه، فمكث في صنعاء، فكأن هؤلاء أرادوا من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأمر.

أيضًا زُوِّج من امرأة من الأشراف من اليمن، أيضًا حتى زوجته الثالثة أظنها كانت من الحبشة، كلّهن فيما بلغني أُهدين إليه، وهذا لما كان عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أخلاق حسنة وتعامل، وحب الناس إليه.

۞ أمر ثالث كان عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو التعبد والخشوع:

إذا جلست مع الشيخ واستمعت لكلامه ودروسه ومحاضراته شعرت أنّ هذا الرجل نحسبه والله حسيبه صادقًا مع الله جَلَّ وَعلا ومعظِّمًا له، وكان إذا تطرق الحديث إلى باب الصفات لله جَلَّ وَعلا تلحظ في كلامه التعظيم والمحبة لله جَلَّ وَعلا، وطلابه يعلمون أنه كان إذا صلى أحيانًا يصلي إمامًا في المسجد الذي بجواره، إذا قرأ خواتيم الحشر لا يتمالك نفسه إلا أن يبكي، وهذا أمر قد تكرر.

أيضًا حرص الشيخ أن يصلي في المسجد النبوي أكثر صلواته، كان حريصًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يصلي في المسجد النبوي كثيرًا، وإذا قلت بجواره يعني: ليس ذاك الجوار، هو لا يزال هناك طريق في حي التمار الذي يعرف هذه المنطقة في شمال المسجد النبوي.

هذا من الأمور التي كان عليها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتظهر في هيئته، بل في مشيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يظهر عليه التواضع والخضوع، وهذا مما يدركه من عاشره.

۞ من النواحي أيضًا التي تُذكر للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أمر رابع: حكمته في الدعوة:

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان شجاعًا وجريئًا، وهو من القلّة القليلة التي كانت تصدع بالحق بلا مضاربة، يعني: من القلائل الذين في المسجد النبوي، والمسجد له خصوصيته وحساسيته أيضًا كان يصدع بالأشاعرة وبالصوفية بهذه العبارات، ويناقش يوميًا شبهاتهم ويرد عليهم، ولكنّه كان ذا حكمة، ما عُرف عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبارة نابية أو خارجة عن السياق كما يقولون في حقِّ أحد من المخالفين، بل كان يتكلم بالحجة ويبين بالدليل ويرد بهدوء ويناقش باعتدال، وهذا أمر بيِّنٌ في مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يعني: انظر محاضرة قيّمة له أنا أوصي باستماعها، بعنوان: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره» ردّ فيه على أحد الأشاعرة الذين نفوا بعض صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تجد الحجة وتجد الدليل، ولا تجد أي شيء من القسوة أو الأسلوب المنفّر منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أيضًا كان دائمًا يوجِّه طلابه بالهدوء وعدم الاندفاع، وعدم الانشغال بالفتن والمشاكل، حريصا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن يبقى طلاب العلم طلابًا للعلم، لا متصدرين، ينشغلوا بالعلم.

أدركنا تلك الأيام فتنة عظيمة كانت بين الناس وكثر فيها القيل والقال وهي أزمة الخليج، وكان للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذاك الزمان المواقف المشهودة، فالشباب بطبيعة الحال انشغلوا وكثر القيل والقال واشتغلت الخلافات المنهجية في تلك الأيام، فكان الشيخ يشدد على الطلاب أن لا ينشغلوا ويقول: اتركوا هذه المسائل للمشايخ، هم الذين ينشغلوا فيها، أنتم عليكم أن تطلبوا العلم فحسب، وهذا دليل على حكمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أيضًا من الأمور التي كانت عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنّه يعرف متى يتكلم، ويعرف متى يسكت، ويعرف ماذا يقول في المجالس الخاصّة، ويعرف ماذا يقول في المجالس العامّة. كان يعرف يتحدث مع من، ليس كبعض الناس الذين المجالس عنده واحدة، فيتكلم بكل كلام عند كل أحد، سواء كان الذي أمامه يفقه هذا الكلام أو لا يفقه، سواء أثّر عليه سلبًا أو أثّر عليه إيجابًا لا يفرق، وهذا ليس من سمت وطريقة الأشياخ الراسخين.

الشيخ أستطيع أن ألخص طريقته أنه كالشيخ ابن باز لكن مصغر، الشيخ كان معظّما ومحبًّا جدًا للشيخ ابن باز، ما أظن أنه كان يحب أو يجل أحد كالشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولذلك تأثر كثيرًا به، في طريقته، في أسلوبه، في حكمته، والبراهين والأدلة على هذا من سيرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيء كثير.

❁ **من الأمور التي يتميّز بها الشيخ أيضًا وهو أمر خامس: حماسته العظيمة للدعوة إلى التوحيد:**

هذا الرجل تشعر أنه لا يصبح ولا يمسي وهمته إلا في الدعوة إلى التوحيد، وهذا شيء عجيب فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان متحمسًا جدًا وكان في كل وقت يتكلم في التوحيد.

ومن اللطائف أن الشيخ كان بعد دروسه يجيب على الأسئلة، لكن غالبًا ما تكون الأسئلة في جيبه، يُخرجها ويقول قال سائل، ما هي الأسئلة؟ الاستغاثة بغير الله، العلو ومن ينفيه، التوسل. وهذه المسائل التي تهم العامة، كان يحرص باستمرار على أن يجيب على هذه الأسئلة التي هي موجودة معه، أسئلة معينة يحب أن يطرحها، حتى أن الزائرين يستفيدون، ثم بعد ذلك يجيب على أسئلة جديدة، لكن ليل نهار تجد أنه يدعُو إلى التوحيد.

ولذلك من آخر الكلمات التي حُفظت عنه أن أوصى ابنه قبل أن يتوفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قل للمشايخ عليهم بالدعوة إلى التوحيد، هذا من آخر ما حُفظ عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في اللحظات الأخيرة من حياته قضية التوحيد كانت جُلَّ همِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أذكر أنه كان دائمًا يوصينا ويتمنى أنّ طلاب العلم الذين يدرسون في المسجد النبوي أنهم إذا جاءت المواسم في الحج والعمرة أن ينتشروا في المسجد النبوي، فيسلموا على هذا الحاج ويلاطفوا ذاك ويبدؤون يطرحون عليهم مسائل في التوحيد، ويناقشون معهم بعض القضايا المتعلقة بالتوحيد. كثيرًا ما كان يكرِّر الشيخ على طلابه مثل هذا الكلام، يريد أنّ التوحيد ينتشر، وما المانع أن طلاب العلم ينتشرون في المسجد هنا وهناك ويطرحون مسائل التوحيد على الناس.

۞ أيضًا من الأمور التي تُذكر للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أمر سادس: رعاية الشيخ لطلابه:

كما قدّمتُ في كلمتي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان أبًا حانيًا كما أنه كان معلِّمًا متميزًا، ورعايته لطلابه لها جوانب كثيرة، الشيخ تشعر إذا كلمك، إذا سلم عليك، بل إذا عاتبك يعاتبك بأُبُوَّة حانية.

مرة خرجت معه من المسجد النبوي كنت بجواره هنا وكان بجواره على الجهة اليمنى أخي الحبيب الفاضل الدكتور محمد بن بخيت الحجيلي -حفظه الله-، فقال الأخ محمد: يا شيخ أنا أستأذنك سوف أسافر إلى مكة لدراسة الماجستير، فالشيخ تنهّد ثم التفت إليّ وقال: وأنت؟ قلت: لا، أنا باقي عليّ سنة، قال: غدًا تلحق بصاحبك، ثم تنهّد مرة أخرى وقال:

لا مرحبًا بغدٍ ولا أهلًا به ... إن كان تفريق الأحبة في غدِ

انظر إلى التعامل الأبوي مع طلابه رَحِمَهُ اللَّهُ.

أيضًا كان الشيخ يتفقد طلابه، فلان ما رأيناه، ربما يدعوك الشيخ، ولكن تجد حرص عجيب، يعني: دعاك ودعا غيرك.

مرة دعانا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الغداء، وكأني تأخرت بعض الشيء، ما استيقظت إلا ويتصل بالبيت أين أنت تأخرت؟ ما جئت عجِّل، وأنا من أصغر طلابه.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحرص على تربيتهم على المنهجية العلمية، يعني: أحيانًا إذا كان يدرِّس في بعض الكتب الدقيقة لا يقبل أن يجلس طالب صغير، يقول: هذا الدرس ليس مناسبا

لك، قم، هذا لكبار الطلاب، يعني: يُعوِّد الطلاب على المنهجية، هاذ الكتاب مناسب لك، وهذا ليس مناسبًا لك.

كان يعاتب طلابه، يعني: مرة اشتدّ عليّ رَحِمَهُ اللهُ لأني ما حضرت درسًا من الدروس، كان عنده درس في نيل الأوطار، وكان الشيخ حريصا على هذا الدرس، وعاتبني بشدة لماذا لا تحضُر؟ فأنا في ذاك الوقت كنت أرى أن خطتي الدراسية أني ما أدرس هذا الكتاب الآن في ذاك الوقت، ويا ليتني ما فعلت، يا ليتني بقيت كل وقتي مع هذا الشيخ الجليل، فالشيخ غضب وتكلم عليّ، ولكن كأنه عتاب الأب الحاني عليك.

أذكر مرة حضرت مناقشة له لأحد الفضلاء، وكان الشيخ المناقش الثاني، فالمناقش الأول اشتدّ جدًا على الطالب، والطالب من طلابه، فحتى أن الوضع كما يقولون بالعامية تكهرب الجو جدًا وأصبح الوضع جدًا سيء، وحال الطالب كان سيئا والحاضرون مستاؤون؛ لأن المناقش كما ذكرت شديدًا جدًا عليه، فلما جاء الشيخ وكان المناقش الثاني سبحان الله كأنما سكب الماء البارد علينا، تكلم بكلام هادئ وأثنى كثيرًا على الطالب وهدَّأ الوضع سبحان الله جدًا، رفع معنويات الطالب لأعلى درجة، مع أن العادة أن المناقشة يكون فيها يعني: قضايا علمية بحتة ونوع من إظهار الأخطاء، لكن الشيخ رأى الآن أن الوقت غير مناسب وهذا الطالب الآن في وضع حرج، فتعامل التعامل الأبوي المعهود منه رَحِمَهُ اللهُ.

كان يحرص على مخالطة طلابه، يخرج معهم في نزهات مثل هذه الأمكنة ويجلس ويتكلم ويتحاور ويتباسط، زُرته مرة وكان ذاك الوقت في الرياض، وكنت ذاك الوقت في زيارة للرياض ومعي الشيخ محمد بخيت أيضًا، فزرناه في فندقه الذي ينزل فيه، فدعانا إلى العشاء في مطعم الفندق، ثم استرسل الشيخ يحدثنا عن طفولته وما كان يشاهده، وما كان الصوفية يتعاملون معه ويحذرونه مما يسمونه بالوهابية، كانت جلسة ماتعة جدًا حقيقة، تعشينا مع الشيخ ثم أردنا الانصراف، فكان الشيخ طلب فاكهة على المائدة وهذه قد حُسبت، فقال الشيخ: هذه الفاكهة تأخذونها معكم، فنادى العامل وطلب كيس، وأخذ

الشيخ الفاكهة ووضعها في الكيس، وقال: خذوا أنتم ما جربتم الجوع، أنتم تعودتم على الترف، خذوا هذه، فاضطررنا أن نأخذ، كأنه فعلًا يعاملك كأبيك -رحمه الله رحمة واسعة-.

كان حريصا على مصلحتهم، ربما سعى لطلابه في بعض الوظائف، ربما شفع لهم هنا وهناك، يتفقدهم من الناحية المادية يساعد هذا ويساعد ذاك، وهذا أسأل الله ﷻ أن لا يحرمه أجره.

۞ أمر سابع ربما يجهله كثير من الناس: وهو حرصه على متابعة أحوال المسلمين في الخارج ومساعدتهم ومناصرتهم:

وفي جعبتي من هذا أشياء، وربما لا يناسب المقام الحديث التفصيلي عنها، لكن الشيخ كان له اهتمامات، وأكثر الناس، بل كثير ممن يعرفونه ويخالطونه ما كان يعلمون عنها، وكان له رحلات دورية وباستمرار إلى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ للكلام معه عن هذه الأمور التي كان يعالجها الشيخ ويقف عليها بنفسه دون أن يعلم أحد.

۞ أمر ثامن: إنصافه وتجرده:

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان متضلعًا بالعلم وكان قامة شامخة في العلم ومع ذلك كان إنسانًا متواضعًا للعلم ومنصفًا من نفسه ومتجردًا لطلب الحق.

ولذلك ربّما يأتيه طالب علم صغير ويطرح عليه مسألة أو ينبهه إلى سهو في كلمة ونحو ذلك فتجد الشيخ يستمع ويبتسم بابتسامته المعتادة ثم يشكره عليها ويدعو الله له، ويقبل الحق ممّن جاء به رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهناك بعض المسائل التي يعرفها من خالطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتدلُّ على هذا السياق.

۞ أمر تاسع: كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا خبرة ومعرفة بالجماعات والأحزاب العاملة في الساحة، وكان دقيق النظر وكان ذا فِراسة في الأشخاص الذين كانوا مشهورين أو عُرفوا بأعمال، وكان كثير التنبيه لطلابه بضرورة أن يحذروا من التحزبات والتعصبات لهذه الجماعات، وإنما يلزمون غرز أهل العلم الراسخين. ومع ذلك كان يدعوا دائمًا إلى

الرفق ويقول: اجعلوا شبابهم -شباب هذه الحركات والحزبيّات- محلّ دعوتكم، تلطفوا بهم واكسبوهم إلى العلم وإلى المنهج السلفي. وهذا ربما كان من الأسباب التي أدت إلى أن ثارت ثائرة كثير من هؤلاء على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ أمر عاشر وأخير: وهو حرصهُ على جمع الكلمة:

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصًا أشد الحرص على اجتماع الكلمة والبعد عن الفرقة والنزاعات والشقاقات بين طلاب العلم.

أذكر في أزمة الخليج كان هناك اجتهاد، وهذه فتوى كانت معلومة يوم أن ثارت مسالة الاستعانة وحكمها، وكان للشيخ في تلك الأيام مواقف مشهودة ومحاضرات وكلمات، وكان يجمعنا ويتكلم كثيرًا في هذه المسألة.

فالشاهد: خرجت فتوى لبعض العلماء، لا أتحدث عن أولئك الحركيين، إنما أتحدث عن بعض أهل العلم الراسخين كان لهم اجتهاد في ذاك الوقت، فممن انتدب للرد على هذا الاجتهاد شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومع ذلك كان يحذر طلابه إياكم أن تقعوا في الشيخ أو تتكلموا عنه، هي زلّة من عالم والعلماء يتولونها، أنتم ما لكم علاقة ولا تخوضوا في هذا الخلاف الذي صدر بيننا؛ لأنّ مثل هذا الخوض في هذه الفتن من أعظم الأسباب لحصول الفرقة والنزاع والشقاق، والله جَلَّ وَعلا يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

الحقيقة أن الكلام عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام طويل وحديث ذو شجون، وبفضل الله عَجَّلَ أنّ تراث الشيخ وعلمه حُفظ جلُّه وأكثره ولله الحمد وثمة خطوات الآن مشهودة ومشكورة وشكلت بعض اللجان لحفظ علم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإخراجه مخدومًا بالخدمة التي تليق به، ومن آخر ذلك تلك اللجنة التي يُشرف عليها شيخنا الشيخ صالح السحيمي -حفظه الله-، وبدأت تخرج بعض مؤلفاته التي هي عبارة عن دروس مسموعة فُرغت وطُبعت، إضافة إلى المؤلفات التي طبعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حياته، وأنا أدعو طلاب العلم إلى

الإفادة من علم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنهم سيفيدون علمًا عذبًا نميرًا مفيدًا بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لعل في هذا القدر كفاية وأعتذر على الإطالة، ولعل الله ﷻ أن ييسر فرصة أخرى يكون فيها مبسوطا ومدعّمًا بأمثلة مطولة عن الجوانب المشرقة لحياة شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أسأل الله ﷻ أن يغفر له، وأن يُعليَ درجته في علِّيين، وأن يُلحقنا به غير مفتونين إنّ ربّنَا لسميعُ الدُّعاءِ.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.